الشعر كاف في رقي صاحبه الى ذرى المعالي وحسبانه في عداد النابغين . كتب ما كتب في مقدمته وشعر بأنه جاء فيها مايعتذر منه فقال في آخرها إن له ثلاثة أعذار المرض وضيق الوقت وفقد النصير . افتتح الديوان بعد المقدمة بتقديمه الى الله تعالى فقال :

رب هذا شعري وهذا بياني ... شهدا لي بصحة الايمان
لي داع من فطرتي قبل نشأة ... لو كنا بها الى اليقين هداني
من يكن قام بالعقائد تقليد ... ا فاني استقمت بالبرهان
مسلما عشت للإسلام أمي ... وأبي والامير والسلطان
أنا لو كنت ناشئاً ومقيما ... بين قوم من عابدي الاوثان
لم أجد غير دين أحمد أولى ... باتباع من سائر الاديان

ثم قدمه الى النبي بأبيات لاتشعر بالتقديم ثم الى أمير المؤمنين ثم الى مصر ثم الى قومه ثم الى الشعراء . وجعل الديوان أبوابا في مدح السلطان ومدح أمير مصر ومدح العظماء والاخوان . وفي السياسة والتاريخ ومن هذا الباب قصيدة في فتح السودان وقصيدة في ذكر الثورة العرابية . وفي التربية والتعليم وفي الاخلاق والآداب والحكم والفكاهات . وفي الوطنية . وفي الشكوى والعتاب . وفي الخصوصيات والاغراض وفي حوادث الغرام وفي الرثاء والتعازي وثمن النسخة من الديوان عشرة قروش في بلاد مصر و١٥ قرشاً في غيرها من البلاد . فعسى ان يلقى هذا الديوان من اقبال القراء ماتقر به عين الناظم

﴿ فتح الأندلس ﴾

« قصة تاريخية غرامية هي الحلقة السابعة من سلسلة روايات تاريخ الاسلام تتضمن تاريخ اسبانيا قبيل الفتح الاسلامي ووصف أحوالها الادارية والسياسية والدينية وعلاقة بعضها ببعض وبسط عادات القوط والرومان هناك والفرق بين طبقات الناس وقدوم طارق بن زياد افتتحها والسبب الذي دعاه الى ذلك الى مقتل رودريك ملك القوط في واقعة وادي لية سنة ٩٣ هـ » هذا ملخص به الرواية . ؤلفها جرجي افندي زيدان وهي كما قال . رغب الينا المؤلف في قراءة القصة قبل تقريظها حبا في النقد الذي لايجب الا الواثق بحسن عمله الراغب في تكميله فقرأناها بلذة عظيمة وشهدنا له بحسن تصنيف

القصص فان القارئ لا ينتهي من فصل من فصولها الى بشوق يلح به ويحفزه الى قراءة مابعده حتى ينتهي بالفصل الاخير

وننتقد عليه ان المقصود من القصة بيان تاريخ الاسلام كسوابقها وليس فيها منه الا ذكر الفتح بغاية الايجاز . وانتقد غيرنا من نبهاء المسلمين على هذه القصص أنها تصور للقارئ ان انتصار المسلمين في الفتوحات لم يكن الا بسبب ما كان ألم بالامم التي فتحوا بلادها كالرومانيين والفرس والمصريين والبربر والقوط من فساد الأخلاق واختلاف المذاهب الدينية وتفرق الكلمة . ويرى هؤلاء المنتقدون ان هذا غمط لحقوق المسلمين وعدم اعتراف بشجاعتهم وعناية الله تعالى بهم حمل المؤلف عليهما التعصب الديني . ونحن ننكر عليهم هذا الرأي كتابة كما أنكرناه قولا فان ماذكره من فساد دين الامم وأخلاقها وتفريق كلمتها هو السبب الاول في قهر أولئك الشراذم من المسلمين لتلك الامم القوية العظيمة السلطان بل لولا ذلك الفساد العام لما أرسل الله تعالى ذلك المصلح العام كافة للناس بشيراً ونذيراً (صلى الله عليه وسلم) وأيده بعنايته فجمع له كلمة الامة العربية التي لا يعرف لها التاريخ اجتماعا فأدبها وأدب بها على بداوتها أمم العلوم والمدنية ، على ان المؤلف نوه بشجاعة العرب وفضلهم وعدلهم ولم ينقصهم منه شيئاً

أما عبارة القصة فقد كنت أتوقع أن تكون خيراً مما سبقها فاذا هي كغيرها في السلاسة ولكن فيها كلمات وعبارات عامية لم أر مثلها في كتابة قبلها للرصيف فجزمت بأنه متعمد ليسهل فهم كتابته على العوام ، وعندي ان سلاسة عبارته كافية في الوصول الى هذا المرام ، وصحة العبارة لا تحول بين المعنى والافهام

﴿ فتاة غسان ﴾

قصة تاريخية غرامية أخرى لجرجي افندي زيدان أيضا كتب على ظهرها بعد ذكر اسمها « تشرح حال الاسلام من أول ظهوره الى فتوح العراق والشام مع بسط عوائد العرب في آخر جاهليتهم وأول اسلامهم ووصف أخلاقهم وازيائهم وسائر أحوالهم » أهدانا المؤلف نسخة من الجزء الاول منها طبع ثانية قبل اهداء (فتح الاندلس) فلم ننظر فيه لأن وقتنا قصير وعملنا كثير فلما طالعنا هذه إجابة لطلب المودة ساقتنا اللذة الى مطالعة الاخرى فكانت اللذة فيها لا تقل عن اللذة في أختها ، وعبارتها أسلم

من عبارتها ، وفائدتها فى التاريخ الاسلامي أكبر من فائدتها ، وان كانت لم تشرح حال الاسلام كما قال شرحا ، ولم تبسط عوائد العرب وأخلاقهم وسائر أحوالهم بسطا ، فانه ذكر جملة صالحة من ذلك كان يجهلها السواد الاعظم من القراء لأن أكثرهم من العوام وان تعلم الكثيرون منهم في المدارس الابتدائية فان مدارس مصر لاحظ لها من تاريخ الاسلام . ولذلك كنت أناظر جماعة من أهل العلم يدعون ان قراءة هذه القصص ضارة وأدعي انا أنها نافعة

يحتج هؤلاء بأن في هذه القصص أغلاطا تاريخية حتى في الامور المشهورة ومثل هذا لا يسلم منه كتاب منها قوله ان أمير العرب على فتح العراق هو « سعد بن مالك » وهو اغراب وكان يدعى سعد بن أبي وقاص وان كان اسم أبيه مالكا . ويعدون عليه مسائل كهذه جزئية منها ما يستند هو فيه الى نقل صحيح كهذا أو ضعيف فمن الاول قوله ان أبا سفيان حيا هرقل بقوله « أبيت اللعن » وهم ينكرون ذلك محتجين بأنها تحية الحميريين للملوك دون المضريين وله ان يحتج هو باطلاق بعض علماء اللغة والتاريخ أنها تحية الملوك في الجاهلية . ومن الثاني نص كتاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى هرقل فانه نقلها عن الاغاني هكذا « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم . السلام على من اتبع الهدى أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فان اثم الاكابر عليك » والرواية الصحيحة في البخاري وغيره « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله (وفي رواية رسول الله) الى الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى . أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين (وفي رواية الاكارين ـ لا الاكابر ـ وكلاهما بمعنى الفلاحين يريد رعيته أهل الحرث) ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » هذا هو نص الكتاب ولا شك ان المؤلف قصر فى اعتماده على كتاب أدبي دون كتب الحديث وكتب السير فى أهم شيء من موضوع قصته

وذكر في آخر الكتاب صورة خاتم النبي صلى الله عليه وسلم نقلا عن الواقدي

وهي ان لفظ (محمد) في السطر الاعلى ولفظ (رسول) في السطر الاوسط ولفظ الجلالة (الله) في السطر الادنى والمشهور العكس والواقدي يروي الموضوعات وقصته في فتوح الشام مملوءة بالكذب وهذه المسألة أهون من غيرها

أما ماذكره مؤلف القصة عن أبي سفيان من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأبو سفيان لم يقله ولا هو ينقله عنه بالرواية وانما جمع المؤلف أقوالا من الكتب وألفها مع بعض آرائه وأسندها الى أبي سفيان لانهم يتجيزون ذلك في القصص لان السيرة عندهم بالمسائل لا بالرواية — وان سمى أهل العربية هذه القصص روايات كذبا ومينا — والمعروف في الصحيح ان أبا سفيان لم يجاوز أجوبة أسئلة هرقل.

ومن المسائل الباطلة التي حكاها المؤلف عن أبي سفيان مسألة الفرانيق. رآها في الطبري فنظمها في سلك الحكاية وقال ان أبا سفيان قال ان محمداً ذكر آلهتهم (أي بخير) فيما نزل عليه ثم رجع عن ذلك (وأبدل هذه الفقرة بفقرة تزيدنا نفرة منه فقال «ان تلك انما ألقاها الشيطان على لسانه» ثم ذكر آلهتنا بكل سوء فقال «انها أسماء سميتموها انتم وآباؤكم» الى غير ذلك مما زادنا نفورا وبعدا). هذه العبارة بين الهلالين منقولة من القصة بحروفها وهي توهم ان جملة «ان تلك» الخ مروية عن النبي عليه السلام وذلك غير صحيح وفيها تحريف الآية الكريمة «ان هي الا أسماء سميتموها» الخ والسبب في ذلك اعتياد القوم على التساهل في النقل والاعتماد على المعنى الذين يفهمونه ويحسبون هذا التساهل هينا حتى في الامور الدينية وهو عند المسلمين عظيم. وقد نشرنا في المجلد الثالث من المنار مقالة طويلة للاستاذ الامام يفند فيها مسألة الفرانيق ويبين بطلانها. وللمؤلف المسيحي العذر في تصديق مسألة ذكرها بعض علماء المسلمين وسكت عليها فلم يكذبها. وهذه القصة وضعت بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم تكن معروفة في عهده لمؤمن ولا لمشرك

(بشارة بحيرا الراهب بالنبي صلى الله عليه وسلم وشبهتهم فيه)

ومما أسنده المؤلف الى أبي سفيان قوله ان أبا طالب كان يصطحب محمدا في أسفاره فينزل الديور (كذا) ويجالس الرهبان والعلماء وذكر هنا ان بحيرا الراهب أنبأه بأمور كثيرة من مستقبل حياته وأوصى عمه ان يعتني به ويخاف عليه اليهود،

وقوله ان محمدا كان اذا عاد من سفره يقضي معظم ساعات نهاره في الكعبة يحدث الناس ويجادلهم ويطارحهم ويعجبون لذكائه وقوة برهانه (قال) فقد كان على صغر سنه ذكي الفؤاد واسع الاطلاع بما اكتسبه من مجالسة عمه ومخالطة الناس في أسفاره مع انه أمي لا يعرف القراءة : وتقول ان هذا غير صحيح فانه ما كان معروفا بالفصاحة ولا بسعة الاطلاع ولا كان يجادل الناس ولم يقل بالمجادلة جهلاء المسلمين الذين أرادوا ان يعظموه بأكثر مما عظمه الله تعالى به فوضعوا أحاديث واخترعوا حكايات جاءت بنقيض المطلوب منها قولهم عنه « أنا أفصح من نطق بالضاد » قال المحدثون انه لا أصل له وقال شيخنا القاوقجي في (اللؤلؤ المرصوع) : والعجب من الجلال المحلي ذكره في شرح جمع الجوامع من غير تنبيه وكذا زكريا الانصاري في شرح المقدمة الجزرية :

أما قصة بحيرا الراهب فقد ذكرها أصحاب السير في البشارات بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ونظموها في سمط الخوارق التي رووا أنها كانت محتفة بها ولكن النصارى نظموها في سلك آخر فزعموا ان بحيرا كان معلما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعظموا من شأنه ووسعوا دائرة رواية المسلمين في شأنه فأخذ صاحبنا جرجي افندي زيدان خلاصة ما قرأه وسمعه من الفريقين وأودعها قصته هذه (فتاة غسان) ونوه بها في غيرها وأنا أعتقد عالي من حسن الظن فيه أنه كتب ما يعتقده وان كان مخطئا فيه

أوهمت عبارته الماضية ان أبا طالب كان يسافر بابن أخيه قبل النبوة كثيرا فينزل الأديار ويجالس الرهبان والعلماء ... والصواب انه لم يسافر مع عمه الا مرة واحدة وكان ابن تسع وكان سبب خروجه معه تعلقه به وحبه اياه لما كان يعامله به من الكرامة والاحسان وفي هذه المرة رآه الراهب بحيرا وبشر به ولم يره بعدها . وقد سافر مرة ثانية الى الشام في عير لخديجة مع غلامها ميسرة وكان ابن ٢٥ سنة على الارجح وفي هذه المرة رآه نسطورا الراهب ورأى من علامات النبوة ما أنطقه بأنه هو الذي بشر به المسيح وغيره من الانبياء ولم ير بحيرا في هذه المرة

وقد ذكر المؤلف رأيه في بحيرا في الفصل الثامن من القصة وملخصه (١) ان اسم بحيرا يوحنا عزا ذلك الى الكندي أي الى ذلك الكتاب الطاعن في الاسلام المنسوب الى رجل على عهد المأمون اسمه اسحق الكندي والكتاب لبعض

المتأخرين لاشك عندي في ذلك . وفي السيرة الحلبية وغيرها ان اسمه جرجيس وقيل سرجيس . و (٢) ان سلمان الفارسي كان تلميذا له نقل ذلك عن الدثرة ولم يعرف في ترجمة سلمان عند المحدثين . و (٣) انه كان على مذهب آريوس . و (٤) انه كان عالما بالفلك والنجوم والطوالع وسائر علوم تلك الايام و (٥) انه كان حسن الفراسة ولكنهم كانوا يعتقدون انه ساحر . و (٦) أنه سافر في آخر عهده الى مكان مجهول في جزيرة العرب ثم علم ان اليهود قتلوه غيلة . و (٧) أن المظنون في سبب ذهابه الى بلاد العرب قصد الحجاز لحادثة جرت معه .

ثم ذكر المؤلف في بيان هذه الحادثة قصة عن لسان راهب كان تلميذا لبحيرا وملخصها ان القوافل القادمة من بلاد العرب كانت تقف عند دير بحيرا بالقرب من مدينة بصرى وكان بحيرا يخرج اليهم ويعلمهم عبادة الله تعالى اذا كانوا وثنيين وانه كان يعتقد ان الله ظهر له في الرؤيا وانبأه بأن سيكون واسطة لهداية بني اسماعيل ثم رأى في رؤيا اخرى « ان فتى جميل المنظر شهما مولده ببرج الثور والزهرة مع قران المشتري وزحل سيهدي أبناء جلدته بني اسماعيل الى معرفة الله وان به يقوى أمرهم ويشتد أزرهم وتجتمع كلمتهم فيذللون أبناء عمهم بني اسحق ويتسلطون عليهم مدة كما أشار اليه دانيال في نبوته وانه يخرج من العرب أثنتا عشرة دولة »

ثم ذكر المؤلف بلسان الراهب ان قافلة جاءتهم من قريش فشاهد بحيرا فيهم غلاما جميلا علم انه هو الذي بشر به في المنام وأوصى به عمه أن يحذر عليه اليهود (قال) : ثم كانوا كلما مروا بنا أقاموا عندنا كالعادة :

أقول في هذه الحكاية أغلاط بنى عليها أحكام فاسدة وهو لم يروها عن أحد وانما استنبطها من قريحته ليصور فيها ما كان يعتقده في النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو انه اقتبس آراءه من ذلك الراهب في التوحيد وغير التوحيد وطفق يستدل لتحقيق بما بشره به وكان يختلف اليه للاستفادة منه ثم ان الراهب بعد ذلك رحل اليه . وحاصل القول ان دين الاسلام بني على معارف ذلك الراهب وبشارته . ويظهر ان المؤلف رجع عن هذا الرأي الذي يؤخذ من كلامه في بحيرا وصار يعتقد أن النبي عليه السلام لم يكن متعلما ولا متكلفا بل كان يعتقد في نفسه انه مرسل من الله تعالى .

ويفهم هذا الرجوع مما كتبه بعد ذلك في الجزء الاول من تاريخ تمدن الاسلام

أما الاغلاط المهمة التي جاءت في حكاية المخترعة فأحدها قوله ان كان يعلم العرب الذين كانوا ينزلون بجوار الدير والصواب انه ما كان يخرج اليهم ولا يكلمهم قال في السيرة الحلبية « وكانت قريش كثيرا ماتمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى وهو بصومعته رسول الله صلي الله عليه وسلم في الركب حين اقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الى الغمامة قد أظلت الشجرة وتهصرت ـ أي مالت ـ أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استظل تحتها . . . ثم أرسل اليهم قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش وأحب ان تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم . فقال له رجل منهم ـ لم أقف على اسم هذا الرجل ـ : يابحيرا ان لك اليوم شأنا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شأنك اليوم ؟ فقال صدقت » ـ القصة وفيها ان النبي لم يحضر معهم أولا فسألهم عن تخلف لانه لم ير الغمامة على أحد منهم فقالوا له ماتخلف عن طعامك أحد ينبغي له أن يأتيك الاغلام وهو أحدث القوم سنا : فطلبه فجاء والغمامة فوقه . فلما أكل القوم وتفرقوا قام اليه بحيرا « فقال له : أسألك باللات والعزى الا ما اخبرتني عما أسألك عنه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتسألني باللات والعزى شيئاً فوالله ما أبغض شيئاً قط بغضهما : فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرتني عما أسألك عنه : فقال له : سلني عما بدالك : فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره ويخبره فيوافق ما عنده من صفته أي صفة النبي المبعوث آخر الزمان » وذكر أنه أوصى به عمه وليس في رواية من الروايات أنه علمهم في تلك الدعوة أو غيرها شيئا أو دعاهم الى توحيد أو غيره

ثانيها خبر الرؤيا والنظر في النجوم وقد علمت ان سبب البشارة به في الرواية المأثورة هو ما رآه من النعوت والآيات ، وما كان يحفظ من البشارات ، فالرؤيا المنامية دعوى اختراعية ، وبناء البشارة على مرقه بالتنجيم حكاية خرافية . فان قالوا انهم لا يسلمون بما في الرواية الاسلامية من تظليل السحابة والشجرة نقول سواء علينا أردتم هذا وحده أم رددتم الرواية من أصلها وارحمونا من ذكر بحيرا الذي عظمتم أمره وهو واحد

من أولئك كانوا يعتقدون بأن نبيا يبعث من آل اسماعيل ، كما بشرت التوراة والانجيل .

ثالثها قوله : وأقام الركب عندنا مدة : ورابعها قوله : ثم كانوا كلما مروا بنا أقاموا عندنا كالعادة : وكلاهما غير صحيح كما علمت

وجملة القول أنه لا توجد شبهة ما على أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم رأى بحيرا غير تلك المرة ولا توجد شبهة ما على انه استفاد منه علما يذكر ، أو حكما يؤثر ، وما ذا عسى يستفيد ابن تسع من مجلس جلسه الى عالم وكيف يصدق عاقل ان ذلك الغلام يخزن هذه العلوم زمنا يزيد على ثلاثين سنة ثم يفيضها على الناس بحكمة باهرة وسياسة عالية . وكيف عجز الراهب مفيض العلوم عن هداية رجل واحد كالراهب الذي يحكي عنه في القصة وقدر ذلك الغلام المستفيض على هداية الشعوب والقبائل وقلب نظام العالم بتطهيره من الشرك والوثنية والظلم والتهتك في الشهوات ! ! ! ان في ذلك لآيات.

وانما أطنبت في قصة بحيرا اطنابا ما كان يتسع له تقريظ قصة لاني كنت أسمع من رهبان هذا الزمان وبعض عوام النصارى كلاما كثيرا في دعوى تعليمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما كنت أظن ان خواصهم يجهلون بذلك حتى رأيت في هذه القصص ما رأيت . ولا أزال اعتقد ان وصيفنا الفاضل جرجي افندي زيدان ليس له قصد شيء يحمله على كتابة مالا يعتقد وأقول انه لا يجوز لمسلم ان يثق بغير العلماء الراسخين من أهل الدين في نقل الامور الدينية اذ لا يعرف الصحيح المعتمد عليه غيرهم

باب الاخبار والآثار

﴿ المحسن العظيم منشاوي باشا أبو الوطن لا الاسكندرية وحدها ﴾

زار صاحب السعادة والفضل أحمد باشا المنشاوي مدارس العروة الوثقى الخيرية في الاسكندرية فتلقاه أعضاء الجمعية الكرام بما يليق بمقامه في فضله واحسانه وكانوا قد أمروا بأن تزين المدارس حفاوة به فابتدأ بزيارة مدرسة عباس الاول للذكور وهناك قدموا له كتابا مصفحا بالذهب تضمن شكر على احسانه وعند ختام الاحتفال وتلاوة الخطب والاناشيد وعد التلامذة بانه أوقف جائزة لتربيتهم ثم زار